

# المواطنة في مكة قبل الهجرة إلى المدينة.

## Citizenship in Mecca before immigration to the Medina

اعداد

د.عبدالله أبوبكر أحمد النيجيري

كلية الشريعة والقانون بجامعة الاسلامية العالمية اسلام آباد باكستان

Email: jalingo12@yahoo.com

### ملخص البحث

يهدف هذا البحث في الأساس أن يعطي للقارئ تصورا شاملا حول المواطنة في مكة وتناولت فيه " المواطنة في مكة قبل الهجرة إلى المدينة. " وبيان بعض المسائل التي تتعلق بهذا الموضوع: مثل الدعوة السرية والجهرية ، المقاطعة العامة والبحث عن وطن جديد . وغير ذلك من القضايا التي تتعلق بهذا الموضوع. وفي هذه الدراسة حاولت أن أدرس آراء العلماء في هذه القضية، عارضا لها ولا تجاهاتهم فيها وأدلتهم عليها، مع المقارنة بينها ومناقشتها بما يفتح الله به عليّ.

الكلمات الدالة: المواطنة ، ، الهجرة ، المقاطعة العامة ، الدعوة.

### ABSTRACT

This research aims to give the reader a comprehensive view of citizenship in Mecca before migration to the Medina" And a number of issues related to this topic: such as secret and public Daawa, public boycotts and the search for a new homeland, and other issues related to this Topic. This discussion is followed through a number of suggestions to redress these problems. The modern world has witnessed many phenomena, which is very important, to muslim to know the sharia ruling regarding it particularly this important topic. At the end conclusion drawn from variant views of the scholars, and the main findings and recommendations have been given.

**Keywords:** citizenship, immigration Public boycott, invitation.

## المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

و تأتي أهمية هذا البحث المتواضع، كمحاولةٍ لبيان بعض الأحكام في الشريعة، والضوابط التي وضعها الشارع الحكيم - وذلك - لتحديد المواطنة في مكة قبل الهجرة إلى المدينة.

## أولاً: أسباب اختيار البحث:

ولقد شدّني للبحث في هذا الموضوع حال بعض أفراد الأمة، في بعض غير الإسلامية ممن يأخذ الحماس الديني المفرط، والغيرة العاطفية المتهيجة نحو مبدأ أو مسألة المواطنة.

ثانياً: أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

❖ معرفة بعض الأحكام الشرعية المطالب بها الإنسان في حياته الدنيا.

❖ بيان صلاحية الشريعة في كل وقت وحين.

ثالثاً: منهج كتابة البحث ومعالجة موضوعه:

انتهجت في سرد المعلومات وتقسيمها المنهج التالي:

اعتمدت المنهج التحليلي والوصفي في هذه الدراسة: وذلك بدراسة أقوال الفقهاء السابقين، وذكر

أسباب الخلاف في أقوالهم، وذكر العلاقة بين أقوال الفقهاء القدامى وأقوال الفقهاء المعاصرين.

التزمت ضوابط البحث المنهجي عزواً وتخریجاً وضبطاً وتحريراً.

1- حاولت في استخراج عناوين البحث أن تكون بارزة وشاملة

3- عزو جميع الآيات الواردة في البحث وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية وخصصت الآيات بالقوسين المستقيمين.

4- تخرّج الحديث من مصادره الأصيلة، والحكم عليه من خلال أقوال العلماء المتخصصين في هذا الشأن إن لم يكن في الصحيحين

5- توثيق مذاهب العلماء وأقوالهم من الكتب المعتمدة في كل مذهب، وتوثيق النصوص من مصادرها الأصيلة...

6- مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة من الأدلة والأقوال في المسألة مرجحًا ما أراه راجحًا بالحجة والدليل.

**رابعًا: خطة البحث:** تتألف الدراسة من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة، فعرضت فيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والخطة التي اتبعتها فيه.

وأما المبحث الأول: فيتناول (مجتمع مكة قبل البعثة)

المبحث الثاني: البعثة المباركة والدعوة السرية والجهرية.

المبحث الثالث: فترة المقاطعة العامة والبحث عن وطن جديد .

نتائج والخاتمة وفيها: أهم النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة.

**تمهيد :**

إن مفهوم المواطنة قد تم تنظيمها في المنطلقات الأساسية للدول الإسلامية، من خلال هوية الانتماء من خلال الأمة الواحدة، بعيدًا عن الانتماء العرقي أو القبلي، وقد تم بيان الواجبات والحقوق لكل أفراد الدولة (الأمة) من خلال دستور مكتوب باسم الصحيفة، أو وثيقة المدينة الذي يرسخ مفهوم المواطنة في هذه الدولة التي تجمع بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل الأخرى، وقد تضمنت هذه الوثيقة : حرية الاعتقاد، والفكر، وحقوق المواطنة الكاملة، بين المؤمنين والمسلمين من قريش، وأهل يثرب، ومن تبعهم، ولحق بهم، وجاهد معهم، وأكد أنهم أمة واحدة، . لقد وضع النبي **ﷺ**: دعائم الأخوة التي تقوم بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الجديد، الذي سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى حيث وضح وبين أنهم أمة واحدة، أقر فيه اليهود على دينهم وأموالهم وعاهدتهم على الحماية والنصرة ما أخلصوا للدولة الجديدة. وقد اشتملت الوثيقة على: وحدة الأمة دون تفريق بين أبنائها والمساواة بين الجميع في الحقوق والكرامة،

والتكاتف، وصد أى عدوان خارجي، وحماية من أراد العيش مع المسلمين مسالماً متعاوناً، وحرية العقيدة لغير المسلمين، وأن جميع أبناء الأمة على ما يحقق مصلحتها ويحقق التعاون.

### المبحث الأول : مكة قبل البعثة.<sup>(1)</sup>

تقع مكة في بطن واد، وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي، وكانت صلوات النسب قائمة بين قريش وكنانة - حيث إن قريشاً تنتمي إلى كنانة التي تسكن قريباً من مكة. واقتصاد مكة يقوم أساساً على التجارة، أما الصناعة فكانت قليلة أبرزها صناعة الأسلحة من رماح وسيوف وغير ذلك، كما أن الموارد الاقتصادية الأخرى؛ مثل تربية الماشية والصيد كانت معروفة، لكن بقيت التجارة أساساً لاقتصاد مكة، وكان أكثر أهل مكة فقراء، ثم قام قصي بن كلاب باستحداث تنظيمات في مكة، وهي: الحجابة، والسقاية، والرفادة، واللواء، والندوة، فاتخذ لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى المسجد الحرام، وفيها كانت قريش تتشاور في أمور السلم والحرب، وفيها تجرى عقود الزواج والمعاملات، فهي دار مشورة ودار حكومة يديرها المملأ الذين هم زعماء الأسر وأصحاب الرأي في مكة. وقد اتسم أهل مكة بالمحافظة الشديدة على العقائد والتقاليد والأعراف السائدة لتأكيد حقوقهم الموروثة ومكانتهم الاجتماعية ومصالحهم الاقتصادية. وكان المجتمع في مكة قبل الإسلام يقوم على نظام الطبقة حيث كانت طبقات المجتمع كالتالي:

1. طبقة السادة والأحرار<sup>(2)</sup>: أمثال أبو بكر، وعثمان بن عفان، أبو جهل، وأممية بن خلف، وعتبة بن ربيعة وغيرهم.

2. طبقة الموالي: أمثال عمار بن ياسر وأبيه وأمه، وأبي فكيهة، وخباب بن الأرت. وغيرهم.

(1) ينظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ لأحمد إبراهيم الشريف، 171/1-180، دار الفكر العربي، و: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، للدكتور أكرم ضياء العمري 177/1-82، الطبعة: السادسة، 1415هـ-1994م مكتبة جامع العلوم والحكم المدينة المنورة.

(2) الهجمات المغرزة على التاريخ الإسلامي، المؤلف (بالأردنية): دكتور محمد ياسين مظهر صديقي، المترجم: دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، 47/1 وما بعدها، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 دار الصحوة للنشر.

3. طبقة العبيد: وكان منهم بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة، والنهدية وابنتها، وأم عبيس، وغيرهم ومع هذه الطبقة لم يرد عن أهل مكة أنهم أساءوا معاملة مواليتهم وعبيدهم قبل الإسلام، ويبدو أن السيادة والمكانة الخاصة بين العرب قد دفعت قريشاً إلى التعامل بطريقة نبيلة مع مواليتهم وعبيدهم، ولم يكن رسول الله ﷺ في إحسانه إلى زيد بن حارثة هو المثال الوحيد هذا قبل الرسالة، فقد كان صهيب الرومي عبداً عنده فأحسن إليه حتى وافق أن يعتق نفسه منه، وصار صهيب قبل إسلامه تاجرًا ذا مال، وكذا أحسن بنو المغيرة إلى مواليتهم من آل ياسر، وبسطوا عليهم معاشهم. وكأن هذا يعني أن قريشاً كانت قبل الإسلام تعترف بانتماء كل المقيمين في مكة إلى مجتمعها المتكامل، رغما تفاوت بعضه عن بعض في الطبقة، ولم ينفوا هؤلاء الضعفاء عنهم. ويبدو أن ذلك كان مشروطاً بقيام هؤلاء بواجب الولاء والطاعة وموافقة المجتمع في أعرافه وهو ما أثبتته سيرتهم.

### المبحث الثاني: البعثة النبوية والدعوة السرية.

#### أولاً: الدعوة السرية

منذ أن نزل على قلب النبي ﷺ أولى أنوار التنزيل " **﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾** (3) وهو يحمل هم تقوية علاقة المسلم بربه من حيث إنه الأحق بالعبودية وحده، وتقوية علاقته بمجتمعه الذي يعيش فيه وتأسيس إنتمائه لوطنه وبلده أنه جزء من عقيدة المسلم ولكن كانت مكة آنذاك مركزاً من مراكز الوثنية، فكان الوصول إلى الإصلاح فيها شيئاً صعباً، فلا بد من العزيمة لمواجهة هذه الأفكار؛ لذلك كان من الحكمة تلقاء ذلك تكون الدعوة في أول الأمر سرية لئلا يفاجأها أهل مكة بالأمر. (4)

(3) سورة العلق، الآية: 1، 2، و3.

(4) ينظر الرحيق المختوم لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري (ص 65) الجامعة السلفية الهند البعث الفائق بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي دار إحياء التراث بدون تاريخ الطبع.

، لذا بدأ الرسول **ﷺ** بدعوة أقربائه وأصدقائه أمثال خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد ابن حارثة، وابن عمه على بن أبي طالب، وصديقه الحميم أبو بكر الصديق، وجاء بعد ذلك إلى ساحة الإسلام بلال بن رباح<sup>(5)</sup> وأبو عبيدة عامر بن الجراح<sup>(6)</sup>، وأبو سلمة بن عبد الأسد<sup>(7)</sup>، وغيرهم من السابقين الأولين الذين عددهم ابن هشام أكثر من أربعين نفرًا<sup>(8)</sup>.

لكن المجتمع المكي انقلب على عقبيه فلم يرعوا للمواطنة حقها فأهدرت الحقوق وأجحفت الحريات وانتهكت الأعراض فلاقي المسلمون الضعفاء أشد أنواع التنكيل وإهدار حقوق الانسانية فتفننوا في تعذيبهم بل بلغ الأمر إلى نفيهم وتجريدتهم من أقل حقوق المواطنة

## ثانيًا

### فترة الدعوة الجهرية.

و بعد مرور ثلاثة أعوام بدأت الدعوة الجهرية والتي فيها ازداد الأمر سوء حيث بدأ الأقوياء من صناديد قريش يضغطون على عبيدهم ومواليهم وضعفاء الناس حتى يشنهم عن الطريق الجديد، وهو ما يعنى أن شروط الاندماج التي سمح لهم المجتمع بها - ومنها الموافقة الدينية والاعتقادية قد اختلت بدخولهم في

---

(5) هو أبو عبدالله بلال بن رباح الحبشي القرشي التيمي مؤذن رسول الله **ﷺ** وهو أول من أذن في الإسلام مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان قديم الإسلام، والمجرة، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله **ﷺ** توفي بدمشق سنة عشرين، وقيل إحدى وعشرين، وقيل: ثمانين: عشرة، وهو ابن أربع وستين سنة. تهذيب الأسماء واللغات 1/136 للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية بدون تاريخ الطبع.

(6) هو عامر بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الغمري شهد بدرًا مع

النبي **ﷺ** وتوفي هو ابن ثمان وخمسين سنة. الإستيعاب في معرفة الأصحاب 4/1710

(7) هو ابن عبدالله بن الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن القرشي المخزومي، وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم. كان ممن هاجر بامرأته أم سلمة بنت أبي أمية إلى أرض الحبشة، ثم شهد بدرًا بعد أن هاجر المجرتين. وجرح يوم أحد جرحًا اندمل ثم انتقض

فمات منها في سنة ثلاث من الهجرة، وتزوج رسول الله **ﷺ** امرأته أم سلمة رضي الله عنهما. ينظر الإستيعاب 4/1682

(8) ينظر السيرة النبوية لابن هشام أبي محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري/1-245-263--

الإسلام، وهو ما لم يحدث من قبل مع الأصناف من أبناء قريش الذين احتجوا على الوثنية وعادات الجاهلية وبحثوا عن دين إبراهيم.

ويبدو أن الفرق بين موقف قريش من الرسالة المحمدية وموقفها ممن بحثوا عن دين إبراهيم من أبنائها أبنائها خلا تماماً من العدالة، ويرجع ذلك إلى أن الإسلام جاء في صورته الأخيرة حركةً تغييرية كبيرة لا تقبل المصالحة مع الأوضاع الجاهلية فأخذ مشركوا قريش في المواجهة مستخدمين في ذلك شتى الأساليب والطرق لإثناء المسلمين عن دينهم ومنعهم خوفاً على سيادتهم وكبريائهم وتجارهم. وقد حاولت قريش في هذه المرحلة القضاء على الدعوة بالوسائل التالية:

### أولاً: أسلوب الترغيب.

عادت قريش إلى مواجهة الدعوة الجديدة بأسلوب الترغيب، وخططوا في ذلك بقيادة عتبة بن ربيعة، فقد روى أبو يعلى في مسنده قال: حدثنا أبو بكر، حدثنا علي بن مسهر، عن الأجلح، عن الذيال بن حرملة الأسدي، عن جابر بن عبد الله قال:

اجتمعت قريش للنبي ﷺ يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة، والشعر، فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ما يرد عليه، قالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله، فسكت رسول الله، ثم قال: أنت خير أم عبد المطلب، فسكت رسول الله ﷺ [ص:350]، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، ففضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا، وأن في قريش كاهنا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى بأن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا حتى تكون أغنى قريش رجلا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فنزوجك عشرا، قال له رسول الله: «أفرغت»، قال: نعم، قال: فقال رسول الله ﷺ: " بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم تَنْزِيلٌ مِّنَ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَتَّى بَلَغَ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿٩﴾ " " ، فقال عتبة: حسبك حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: «لا»، فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: هل أجابك؟ قال: نعم، والذي نصبها بنية، ما فهمت شيئا مما قال غير أنه قال: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ قالوا: ويملك يكلمك رجل بالعربية لا تدري ما قال، قال: لا، والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة أ.هـ (10) وفي وجه آخر "ثم مضى رسول الله - ﷺ - فيها، يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله - ﷺ - إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك" (11) ولما فشلوا في هذا الأسلوب عادوا إلى أسلوب التهيب.

ثانياً: أسلوب التهيب.

قال البيهقي في دلائل النبوة : وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: حدثني شيخ من أهل مصر قديم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ: فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آباءنا، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر، فإذا سجد في صلاته فضحت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظر، وغدا رسول الله ﷺ كما يغدو وكانت قبلته الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليماني، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله ﷺ ثمة يصلي، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منتهياً منتقعا لونه مرعوباً، قد ييست يداه على حجره حتى

(٩) سورة فصلت، الآية: 13.

(10) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده في مسند جابر 3/ 349 ، حديث رقم 1818 البيهقي في شعب الإيمان، باب تفسير سورة المدثر بسم الله الرحمن الرحيم، حديث 133، 287/1، وابن البيع في المستدرک علی الصحیحین، باب الإيمان يرسل الله صلوات الله عليهم، حديث رقم 3872، 550/2.

(11) الهجمات المغرزة على التاريخ الإسلامي، للدكتور محمد ياسين 1.



قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال من قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم، فقال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، والله ما [ص:191] رأيت مثل هامته ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قط، فهم أن يأكلني. قال محمد بن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: «ذلك جبريل عليه السلام لو دنا مني لأخذه» أ.هـ (12)

واستمروا في إيذاء رسول الله ﷺ بشتى أنواع الإيذاء المادي والمعنوي، حتى يرجعوه عن الدعوة إلى الله فلم يفلحوا في ذلك. وهذا يدل على أن مجتمع مكة في تلك الفترة لم يكن لديه حقوق المواطنة البتة. مما اضطر الضعفاء إلى ترك أوطانهم والحرمان حتى من حق العيش في بلدتهم التي ولدوا فيها

المبحث الثالث: فترة المقاطعة العامة. والبحث عن وطن جديد.

#### أولاً: فترة المقاطعة العامة

من الفترات الصعبة للأمة الإسلامية وهي في مهدها في تلك الفترة. ما عرف تاريخياً " بالمقاطعة " وهو ما يعبر عنه في العصر الحديث بالحصار الاقتصادي.

فلما رأت قريش انتشار الإسلام وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما لقي المهاجرون في بلاد الحبشة، من إكرام وتأمين، مع عودة وفدها خائباً، اشتد حنقها (13) على الإسلام،

فأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم، وبني عبد المطلب، وأن لا يبيعوا إليهم ولا يشتروا منهم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ. وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة وحوصر رسول الله ﷺ ومن معه من بني هاشم في الشعب ثلاث سنوات من التضييق والحصار روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ر، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْعَدِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَهُوَ بِمِئِي: «حُنُّ نَازِلُونَ عَدَاً بِحَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ» يَعْنِي ذَلِكَ الْمَحْصَبَ، وَذَلِكَ أَنَّ

(12) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي، 191/2، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، هـ، و السيرة ابن هشام 298\1 بتصرف يسير.

(13) حنق أي حنقاً وحنيفاً فهو حنق ويقال قد أحنقه والحنق: الغيظ، والجمع حناق، مثل جبل وجبال. لسان العرب 70\10

قُرَيْشًا وَكِنَانَةً، تَخَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ: أَنْ لَا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يُبَايَعُوهُمْ،  
حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ (14)

وهنا ضاعت حقوق المواطنة تمامًا حتى أصبح الاستمرار في هذا الوضع غير ممكن وأصبح من الضرورة  
البحث عن حل لإنقاذ هؤلاء المعذبين المضطهدين إلا البحث عن وطن جديد.

### ثانيًا: البحث عن وطن جديد.

بدأ التنفيذ العملي للبحث عن وطن جديد أرضه خصبة لغرس بذور الاسلام في موسم الحج سنة 11  
من البعثة النبوية، حينما التقى بوفد من يثرب فعرض عليهم الاسلام فقبلوه وواعدوا بإبلاغ رسالته في  
قومهم.

وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي - موسم الحج سنة 12 من البعثة النبوية يوليو سنة 621 -  
اثنا عشر رجلا، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق - والسادس  
الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رثاب - وسبعة سواهم.  
وهم:

1- معاذ بن الحارث، ابن عفراء من بني النجار (من الخزرج)

2- ذكوان بن عبد القيس من بني زريق (من الخزرج)

3- عبادة بن الصامت من بني غنم (من الخزرج)

4- يزيد بن ثعلبة من حلفاء بني غنم (من الخزرج)

5- العباس بن عبادة بن نضلة من بني سالم (من الخزرج)

6- أبو الهيثم بن التيهان من بني عبد الأشهل (من الأوس)

7- عويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف (من الأوس)

الأخيران من الأوس، والبقية كلهم من الخزرج .

(14) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب نُزُولِ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ 2/148، حديث برقم 1590

اتصل هؤلاء برسول الله ﷺ عند العقبة بمنى، فبايعوه بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت عند فتح مكة ، وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبي ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول سفير في يثرب، ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين وليقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، واختار لهذه السفارة شابا من شباب الإسلام من السابقين الأولين، وهو مصعب بن عمير العبدي رضي الله عنه ، وقبل حلول موسم الحج التالي- أي حج السنة الثالثة عشر- عاد مصعب بن عمير إلى مكة، يحمل إلى رسول الله ﷺ ببشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوة ومنعة في موسم الحج في السنة الثالثة عشر من النبوة- يونيو سنة 622 م- حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفسا من المسلمين من أهل يثرب، جاؤوا ضمن حجاج قومهم من المشركين، وقد تساءل هؤلاء المسلمون فيما بينهم- وهم لم يزالوا في يثرب أو كانوا في الطريق- حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟

فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية، أدت إلى إتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرات الأولى من منى، وأن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل.

ولترك أحد قادة الأنصار يصف لنا هذا الاجتماع التاريخي، الذي حول مجرى الأيام في صراع الوثنية والإسلام، يقول كعب بن مالك الأنصاري: **ت**:

(خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا، أخذناه معنا- وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا- فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرفنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم دعواناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبا) .

قال كعب: (فمننا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب- أم عمارة- من بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو- أم منيع- من بني سلمة) .

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا، ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين قومه - إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، وتوثق له، وكان أول متكلم ، وتمت البيعة على البنود الآتية:-

- 1- على السمع والطاعة في النشاط والكسل.
- 2- وعلى النفقة في العسر واليسر.
- 3- وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- 4- وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم.
- 5- وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجنة . . أ.هـ . (15)

وفي رواية كعب - التي رواها ابن إسحاق (16) - البند الأخير فقط من هذه البنود، ففيه قال كعب: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم». فأخذ البراء بن معمر بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق (نبيا) لنمنعك مما تمنع أزرننا منه، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابرا (عن كابر) .

قال: فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان فقال:  
يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسييت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟  
قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم، وأسالم من سالمتم أ.هـ بتصرف واختصار (17).

وبذلك نجح النبي ﷺ في إيجاد وطن جديد فيه يعز المسلمون وتصان أعراضهم وحقوقهم.

(15) هذه البنود كما جاءت من حديث جابر الذي رواه الإمام أحمد بإسناد حسن، وصححه الحاكم وابن حبان،

(16) وروى ابن إسحاق من حديث عبادة بن الصامت، وفيه البند زائد، وهو «ألاننازع الأمر أهله» انظر ابن هشام 1 / 454.

(17) الرحيق المختوم ص: 134، سيرة ابن هشام 1 / 440، 441.

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله، وصفيه من خلقه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد: فقد وفقني الله تعالى، بمحض فضله وكرمه، لإتمام هذا البحث المتواضع، فلم يبق لي إلا أن أخص أهم ما توصلت إليه أثناء إعداده من نتائج علمية، وما أذكر به إخواني أهل العلم-طلاباً وأساتذة-من توصيات نافعة لي ولهم جميعاً، ويكون ذلك كالاتي:

### أولاً: النتائج:

1. إن مفهوم المواطنة قد تم تنظيمها في المنطلقات الأساسية للدول الإسلامية، من خلال هوية الانتماء من خلال الأمة الواحدة، بعيداً عن الانتماء العرقي أو القبلي .
2. فقد لاقى المسلمون الضعفاء أشد أنواع التنكيل وإهدار حقوق الإنسانية فتفننوا في تعذيبهم بل بلغ الأمر إلى نفيهم وتجريدهم من أقل حقوق المواطنة

### ثانياً: أهم التوصيات المقترحة:

- 1-أوصي نفسي أولاً، وإخواني طلبة العلم وأساتذتهم ثانياً بتقوى الله عز وجل، في كل ما يسند إليهم من أعمال وواجبات- وأن يخلصوا نياتهم لله-عز وجل: وأوصيهم بالتوجه التام إلى خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله **p**.
- 2-وأوصيهم بالاهتمام البالغ بفهم اللغة العربية، لغة كتاب الله وسنة رسوله **p**-ولغة أهل الجنة في الجنة-لأن فهم الكتاب والسنة واجب، ولا يفهمان حق الفهم إلا بهذه اللغة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.
- 3.تنشيط البحث العلمي في مجال فقه الخلاف، وتشجيع الباحثين وطلاب العلم لإجراء الدراسات العلمية كافية شافية في مثل هذه القضايا.

4. الاهتمام بتدريس مادة الفقه المقارن في كليات الشريعة والدراسات الإسلامية، من خلال تأصيل فقه الخلاف وذلك لتحقيق إبراز ضوابط الفهم والتعامل مع النصوص، وخاصة في مثل هذه المسألة الهامة الحساسة.

5-التعامل مع المدعوّين بمبدأ حسن الظن، حيث الخير موجود وبقا وماض في الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة، فالأصل في الناس والبراءة، فيحمل حال أهل الإسلام على الخير والصلاح، ويؤتمس العذر المخالف في الفروع، ويتورّع المسلم عن تفسيق الآخرين وتسفيهمهم، ويسعى للعلم بحيثيات ما يجمله مما ينكره عليهم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## أهم المصادر والمراجع البحث

- استيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي تحقيق: علي محمد الجاوي الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م، الناشر: دار الجليل، بيروت
- تهذيب الأسماء واللغات للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية بدون تاريخ الطبع.
- جامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله الناشر: دار الشعب - القاهرة
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، هـ،

- رحيق المختوم لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري الجامعة السلفية الهند البحث الفائز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي دار إحياء التراث بدون تاريخ الطبع.
- سنن الكبرى، لأحمد بن حسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبوبكر البيهقي ، الطبعة الثانية: 1424هـ-2003م تحقيق عبدالقادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- سيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، للدكتور أكرم ضياء العمري ، الطبعة: السادسة، 1415هـ-1994م مكتبة جامع العلوم والحكم المدينة المنورة.
- سيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة
- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الطبعة دار صادر بيروت لبنان بدوم تاريخ الطبع.
- مستدرک علی الصحیحین لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

- مسند أبي يعلى لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة: الأولى، 1404 - 1984، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق
- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأحمد إبراهيم الشريف، ، دار الفكر العربي،
- هجمات المغرزة على التاريخ الإسلامي، المؤلف (بالأردنية): دكتور محمد ياسين مظهر صديقي، المترجم: دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم وما بعدها، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 دار الصحوة للنشر.